

المحاضرة الأولى: ارهاصات النقد العربي المعاصر

تمهيد:

يعتبر النقد الأدبي { في أدق معانيه فن دراسة الأساليب وتمييزها، وذلك على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع، فليس المقصود بذلك طرق الأداء اللغوية فحسب، بل المقصود منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والاحساس على السواء }¹، وهذا يجعل العملية النقدية موزعة بين النظرة الذاتية التي تعكس تأثر الناقد بالنص وبالمظاهر، إذ لا يمكن التعميم في تقبل الأشياء وفي النظر إليها، وبين النظرة الموضوعية التي تقوم على قواعد عقلية لا تترك مجالاً للذوق ولا الفردية

والنقد هو {طريقة الدراسة المنضبطة والمنهجية للخطاب المكتوب أو الشفهي على الرغم من أن النقد يفهم عموماً على أنه اكتشاف الأخطاء والأحكام السلبية، إلا أنه يمكن أن يتضمن أيضاً الاعتراف بالجدارة وفي التقليد الفلسفي يعني أيضاً الممارسة المنهجية أيضاً الاعتراف بالجدارة}²، إذن فالعمل الأدبي هو موضوع النقد، ويقال الأدب تعبير والنقد دراسة وممارسة، ويعرفه السيد قطب بأنه {التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية، فالتجربة الشعورية هي العنصر الذي يدفع إلى التعبير ولكنها ليست هي العمل الأدبي لأنها مادامت مضمرة في النفس لم تظهر في صورة لفظية معينة فهي احساس أو انفعال لا يتحقق به وجود العمل الأدبي}³،

لقد مارس الانسان النقد منذ القديم، فطبيعة الحياة البدوية التي كان يعيشها المجتمع العربي وفطرية العقلية التي كونت المجتمعات الأولى قديماً، جعلته أميل إلى الاحساس بالشعر وإلى الاستماع إليه، فما {دمنا قد عرفنا الأدب أنه كل ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته أنواعاً خاصة من الانفعال، فمن الضروري أن تكون هناك استجابات وأن يصدر عنها النقد والذي لاشك فيه أن استجابات العرب لم تكن فاترة، وفي

¹ - محمد مندور، في الأدب والنقد، ط1، العربية للاعلام والفنون والدراسات الانسانية والنشر، مصر، 2023، ص 10

² - نصيرة عليك، المناهج السياقية في ضوء الخطاب النقدي، قضايا التعريف والتصنيف، ط1، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024،

ص49

³ - السيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة/مصر، 1954، ص4

أخلاقهم عنف البداوة، كما أن في شعرهم ما يحرك ضروبا من الانفعال الشخصي والقبلي⁴. إذ من الطبيعي أن يكون خالق الشعر ناقدا، فداخل كل شاعر يقبع ناقد يساعده على أن يعنى ببناء قصيدته في الوقت نفسه يوجد في أعماق كل ناقد شاعر يعلمه من الداخل كيف يتعاطف مع ما يقرأ، لهذا تكثرت في تاريخ الشعر حالات الشعراء الذين تركوا لنا نقدا ذاتيا مضيئا، وتكثرت في تاريخ النقد أيضا حالات النقاد الذين بدل أن يحللوا موضوعيا عملا ليس لهم بدأوا يظهرن قصائد هم أنفسهم⁵. فهذا الناقد يمتلك قدرا معين من الشعرية التي تجعله يميل لشاعر دون آخر ويبيدي آراؤه وأحكامه وإن كانت بسيطة لكنها لاشك أنها ستكون عميقة التأثير حين تصدر من الشعراء أنفسهم أو من أهل الابداع.

لكن النقد يذهبون إلى حد التأكيد أن النقد العربي عرف أصول وليس مناهج، وهي حصيلة اجتهادات لم تحدد بالدرجة الكافية، لطالما تساءل النقاد عن أصول النقد العربي إن كان هو عربي صرف أم جاء نتيجة احتكاك العرب بباقي الأمم المجاورة، خاصة النقد الذي ظهر بعد القرن الثالث هجري، يقول مندور في هذا السياق: {النقد الأدبي نشأ عربيا صرفا وذلك لأن أساس كل نقد هو الذوق الشخصي تدعمه ملكة تحصل في النفس بطول ممارسة الآثار الأدبية، لكن الذي حدث أن النقد تأثر في منهجه بالعقلية الجديدة التي كونتها فلسفة اليونان والتي اتخذها المعتزلة وعلماء الكلام أساسا لمجادلاتهم في التوحيد والفقة، وهذا يفسر تغيره من نقد ذوقي غير مسبب يقف عند الجزئيات ويقفز إلى تعميمات خاطئة تجعل من شاعر أشعر الناس لبيت قاله إلى نقد ذوقي مسبب يحاول أن يقصر أحكامه على الجزئية في الحكم⁶.

1-وظيفة النقد:

حدد السيد قطب وظيفة النقد وغايته { في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضوعية، وقيمه التعبيرية والشعورية، وتعيين مكانه في خط سير الأدب وتحديد ما أضافه إلى التراث

⁴ - محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب واللغة، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، 1996، ص15.

⁵ - أنريك أندرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر احمد مكي، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص3

⁶ - محمد مندور، المرجع السابق ص11

الأدبي في لغته وفي العالم الأدبي كله وقياس مدى تأثيره بالمحيط وتأثيره فيه، وتصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية والتعبيرية، وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه والعوامل الخارجية كذلك⁷، لكن تقريبا للنقد وظيفة واضحة لكن يمكن أن تتفرع لتشمل نوايا مختلفة، إذ ليس كل عملية نقدية تسهم بكشف الغبار عن النص، رغم ادعائها ذلك، ومن خلال ما تم ذكره في البحوث والدراسات التي تحدثت عن الأمر فإن النقد يقوم بوظائف لعلها أهمها:

- أن يطلعنا بالأعمال الابداعية التي لم ينتبه إليها القارئ فهو يأتي بالنصوص الى الواجهة فيتعرف عليها القارئ والباحث الذي يجب صعوبة في الالمام بكل ما يتم انتاجه، بسبب كثرتها أو ميله نحو تخصص معين،
- يقوم بمنح المتلقي فضاء معرفيا خصبا فيوسع معرفته حول النصوص النقدية التي تناولت العمل قبله، ويستحضر حتى التراث والسياق والمعرفة النظرية الخ،
- يميل الى محاولة اقناع الآخر بالقيم التي يحملها الناقد نظريا وتحليليا،
- يزيد من احترام الأدب حين يخضعه للممارسة ،



- إن النقد يضيء العمل الأدبي تاركا للقارئ حرية في تقديم ما يراه مناسباً ، مما يعني جنوح العلمية النقدية نحو التفسير والتعليل والتقويم والتذوق للنصوص⁸.
- أحيانا يكون النقد أجمل من النص الأدبي ويقدم لنا نصا ولغة ثانية حسب تعبير فاضل تامر، فتجد أن الناقد يمتلك حسا جماليا يخلق انطباعات جمالية ، وسنحاول أن نضعها في هذا المخطط التوضيحي التالي:

2-النقد قديما:

⁷ - السيد قطب، النقد الأدبي، ص4

⁸ - أنظر أنريك أندرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر احمد مكي، ص51 ص52

تحدث كتب النقد عن محاولات متفرقة في النقد في النقد اليوناني في تلك المسابقات التي تقام في أثينا على مرأى من الناس، خاصة في الأعياد الدينية وكانت تمنح الجوائز للفائزين من الشعراء والممثلين بناء على أحكام غير مقننة نهائياً، ثم ذكروا تلك المقاربات التي تمت في مسرحية الضفادع بين شعرائها الثلاث أسخلوس ويوربيدس وأرسطو فانيس، وتم عقد مناظرة أدبية داخلها بين الشاعرين بطابع هزلي، عبرت عن آراء جمالية وفنية كانت رائجة آنذاك، وقدم السفسطائيين جهوداً في الخطابة واللغة، وأكمل مسار النقد سقراط في محاوراته الكلامية التي انتهت إلى تلميذه أفلاطون، الذي طورها في محاوراته التي سميت إيون حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، وفيه تنازل أفلاطون مسألتين من صميم النقد الأدبي هما مصدر الشعر بين الفن والإلهام والفرق بين الشاعر والناقد الأدبي في حكمها على الشيء وبين أحكام العلم والعقل على الشيء ذاته أيضاً، وقد سما أفلاطون بالشعر حين جعل مصدره الإلهام⁹،

في المراحل التالية استلم أرسطو قضية الخوض في المسائل اللغوية والفكرية، ووقف عند المنطق والخطابة واللغة كفنون قولية مبنيا كيف يتم استعمال لغة لغايات قولية أو غايات علمية، وتحدث عن الفروقات بينها وغاياتها، وطبيعة الشعر وغاياته أيضاً صلته بأخلاق الناس وأساس تقويمه واثره في الجمهور، وهو في كل هذا متمسك باللغة ودورها في تيسير الحياة المدنية للإنسان، وخصوصيتها التواصلية ولعل أهم مواقفه النقدية كانت حول المحاكاة وعلاقة الفن بالطبيعة والواقع، وتراه ينفر من الشعر الغنائي لأنه خال في نظره من مقومات الفن ذي الأغراض الاجتماعية¹⁰، وأرسطو ترى أنه ربط بين وظيفة الشعر ونواحيه الفنية، والمعروف أن أرسطو فصل بين اجناس الشعر بين المأساة والملهاة وحاول تعريفهما كما لم يتجاهل قضيتي الوحدة العضوية ونظرية التطهير مما يعني جدارة ما تم مناقشة من قضايا نقدية قديما حول بعض فنون الأدب.

3- رواد النقد العربي قديما:

لقد فطن ابن سلام الجمحي إلى بعض الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الناقد وهي شروط لا تأتي نتيجة المهوبة فقد ذكر الدربة والممارسة واكتساب الذوق، يقول: {الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم

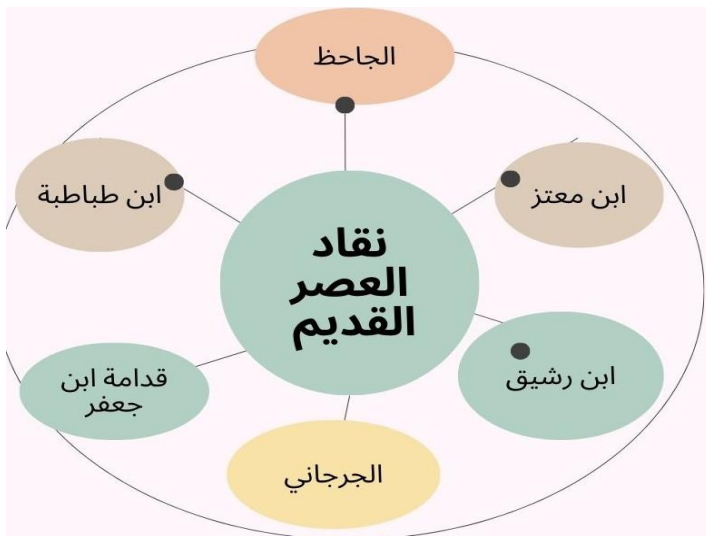
⁹ - أنظر محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص 27-ص 28

¹⁰ - المرجع نفسه، ص 51

كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه اليد ومنها ما يتقنه اللسان، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة أو وزن دون المعاينة ممن يبصره¹¹. أما النص فدعا إلى ضرورة التأكد من صحة انتسابه لصاحبه، كما أشار إلى تفسير الظواهر الأدبية تفسيرا علميا انطلاقا من أحكام يستند إليها الناقد والتي يأخذها من المحيط والمعرفة بالنص وبالكاتب وبالسياق العام، وخلال تقييم الشعراء والمفاضلة بينهم كان ابن سلام الجمحي يقسم الشعراء إلى طبقات انطلاقا من مبادئ وضعها مثل كثرة شعر الشاعر وتعدد أغراضه وجودتها الخ، وهي

أحكام نقدية موضوعية إذا ما تم تقييمها اليوم، وطرح الناقد قضايا كثيرة تخص الشعر مثل الانتحال والسرقات وغيرها.

ويمكن أيضا الوقوف عند ابن قتيبة، الذي عدّ أيضا من كبار النقاد القدامى، في كتابه الشعر والشعراء وما يشهد له أنه لم يأخذ بمقاييس الأولين،



وقد كان صريح في ذلك: {لم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسّن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه وإلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه}¹². وقد رفض لاحتكام إلى القديم لمجرد أنه قديم، لكن يشهد له بالنزعة العلمية في تقييمه للظواهر الأدبية، فقدر الأشياء في ذاتها لكنه نظرت له اللغة ومائل الأدب ظلت خاضعة للتقاليد العربية بعيدا عن أي نزعة فلسفية يمكن أن يثري مجال النقد غير نظرة الطبع والتكلف التي قدم فيها الشعر بنوعيه، التي جعلنا نميل اليهما معا حسب دواعي معينة. كما يقسم الشعر حسب اللفظ والمعنى.

ولعل النظرة الفاحصة للنصوص الأدبية وتحكيم المنهج نشأت حسب مندور مع ابن المعتز الذي خاص في مسائل مختلفة، فكتابه البديع له أهمية في تاريخ النقد العربي، ذلك لتحديد خصائص البديع، وتأثيره في النقاد

¹¹ - ابن سلام الجمحي، ص 17 عن محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص 18

¹² - المرجع نفسه، ص 23.

اللاحقين له، لقد خاض في مفاهيم الاستعارة والجناس والطباق كاشفا عن مهارة في التعبير واللعب على الأفكار، ويرى أن الاستعارة أمر أصيل في الشعر، وهي لباب الشعر والطباق مجرد مقابلات بين المعاني، والمذهب الكلامي نوع من الجدل العقلي والقدرة على توليد المعاني¹³، ويبدو أن ابن معتز نادى بالبديع كمذهب جديد في الشعر مشيرا إلى أهمية الاستعارة كعنصر جوهري لا يمكن التخلي عنها كما رأى أن الشعر يتصل بطرق أدائه شكليا وتدور حول الطباق والجناس،

ومن النقاد القدامى الذين تمكنوا من بناء هيكل نقدي منطقي قدامة ابن جعفر، الذي نظر إلى حقيقة الشعر فكتب عنه وعن محاسن الكلام وانتهى إلى التيار التجديدي الذي خاض في المسائل النقدية الشكلية للشعر، فأضاف محاسن أخرى لم تذكر لدى رواد المذهب البديعي مثل الاعتراض والرجوع والافراط في الصفة وحسن التشبيه وحسن الابتداءات، الخ، فوقف عند ثنائية اللفظ والمعنى وطرح مسائل الائتلاف بينهما، ومر إلى الوزن والقافية وائتلاف المعنى معهما، وتحدث عن الألفاظ السهلة المخارج، ورونق الفصاحة، والأغراض المختلفة للشعر، والتشبيه والمركبات الأربع التي يعتمد عليها الشاعر لنقل المعنى والتي تحوم حول المحسنات وخصائصها السبعة كالمبالغة والتقسيم وغيرها، ثم يفصل بين المفردات والمركبات بذكر العيوب العامة للمعاني وتبحث عن فساد الأقسام وفساد المقابلات وفساد التفسير والاستحالة والتناقض وغيرها¹⁴.

من خلال ما سبق نرى أن الخصومة بين القديم والجديد اشتعلت في العصور التالية للإسلام، وقد أثارت زوبعة نقدية تعصب فيها اللغويين للشعر القديم، بينما ركب أنصار الجديد مذهبا مغايرا، وتمت الموازنة بينهما أحيانا استنادا إليها معايير مختلفة بعضه يرى في مذهب القدماء العريق حقيقة الشعر ومعطيات الحواس وطبع السليقة مع النفور من الاسراف والتفسير والتجريد الذي وصل اليه الشعر في العصور التالية، فكره البعض النغمة الخطابية والتكلف ووقف البعض على المعنى وعلى جودته، ومسألة السرقات التي خاض فيها الآمدي الخ.

¹³ - أنظر محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص 32 ص 33

¹⁴ - أنظر المرجع نفسه، ص 71 ص 72

4- النقد الحديث في الساحة العربية

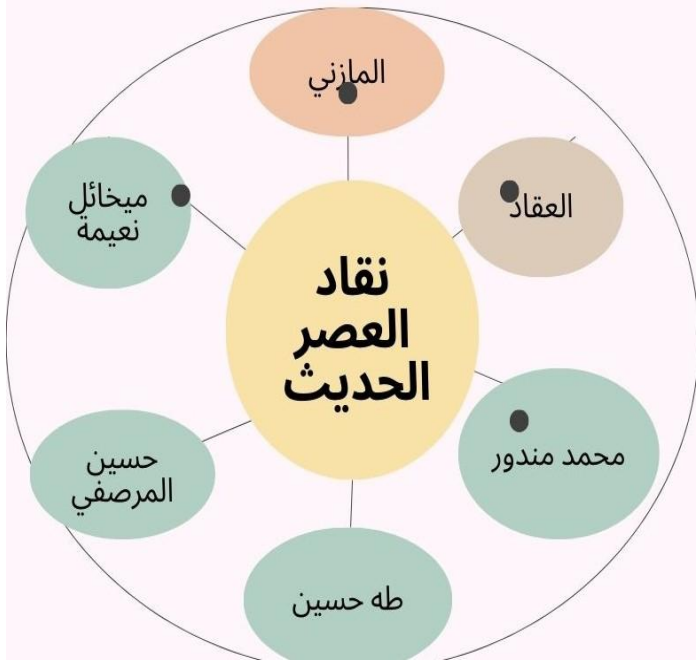
شهدت الأمة العربية في العصر الحديث نهضة أدبية قام بها كبار الأدباء والشعر، حيث تم العودة فيها إلى التراث القديم وتم بعث نفائس النصوص والرواد، وصاحب هذه النهضة الأدبية نهضة نقدية رافقتها في مسيرتها الفكرية واللغوية والنقدية، فظهرت أسماء عملت بدورها على التأسيس لنقد عربي حديث لعلها أشهرهم حسين المرصفي شيخ الوسيلة الأدبية، الذي عد رائد البعث الأدبي الحديث بما كتبه حول صناعة الشعر والنثر، وآرائه النقدية، وهو الذي قال: {أعلم أن لعمل الشعر واحكام صناعته شروطاً أولها الحفظ من جنسه، أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها، ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شاعر من الفحول الاسلاميين... الخ}¹⁵.

وترك الكثير من الآراء النقدية التي نظر فيها غيره مثل المسائل اللغوية والعروضية وتعريف الشعر والتراكيب وقراءة في دواوين الشعراء والقيام بالموازنات النقدية مع الشرح، وتحوي الجدة التي كان النقد يحتاج إليها في العصر الحديث، وهذا رأي محمد مندور في قوله: {مثل هذا النقد لم نسمع به في نقدنا الأدبي المعاصر إلا بعد ذلك بما يقرب من نصف قرن عندما رأينا الأستاذين العقاد والمازني يطالبان متأثرين بالشعر الغربي بوحدة القصيدة وتنسيق تصميمها.....ويستخدم في هذا النقد تفكك القصيدة وانعدام النسق فيها}¹⁶. ترى المرصفي يعيد صياغة بعض الأحكام النقدية التقليدية مثل وحدة البيت المستقلة بذاتها، ومثل هذه الآراء تعيد إلينا قول كبار النقاد القدامى الذين أصروا على قواعد معينة تتحكم في الشعر كالوزن والقافية ووحدة البيت.

والناقد الثاني الذي يشهد بجهوده في تجديد معالم النقد إن صح التعبير أو على الأقل تحركه من ركوده، هو ميخائيل نعيمة بكتابه المشهور الغربال الصادر 1923م، والذي لا يزال يقاوم عبر طبعاته الكثيرة رحلة الزمن، إن الكتاب حمل فلسفته الخاصة حول الأدب ومنهج النقد، لقد شن فيه حملات شرسة ضد ما أسماهم ضفادع الأدب الذين كانوا يواصلون النقيق، ومما يرد عن ميخائيل نعيمة قوله بشأن النقد: {إن لكل ناقد غرباله لكل موازينه ومقاييسه، هذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا في السماء ولا في الأرض،... وقوة

¹⁵ - محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، ص 12

¹⁶ - المرجع نفسه، ص 12



الناقد هي ما يبطن به سطره من الاخلاص في النية والمحبة الغيرة على موضوعه ودقة الذوق ورقة الشعور وتيقظ الفكر وما أوتيته بعد ذلك من البيان لإيصال ما يقوله إلى عقل القارئ وقلبه¹⁷، وهذه تقريبا صاغها كأحكام تؤكد فريدة الأحكام النقدية التي يمكن ان تستند الى تجربة الناقد الذاتية ومخزونه المعرفي وحتى توجهاته في تقييم النصوص، لذا فهو ينفر من الأحكام الجاهزة

التي تقتل العملية الابداعية، بل إنه يقول: {الناقد الذي ينقد حسب القواعد التي وضعها سواء لا ينفع نفسه ولا منقوده ولا الأدب بشيء، اذ لو كانت لنا قواعد ثابتة لتمييز الجميل من الشنيع والصحيح من الفاسد لما كان من حاجة إلى النقد والناقدين، بل كان من السهل على كل قارئ أن يأخذ تلك القواعد ويطبق عليها ما يقرأه¹⁸. لقد بحث نعيمة عن المقاييس الأدبية التي يحتاجها عصره مثل الافصح عن كل ما ينتابه المبدع مثل حاجة الانسان الى الحياة وإلى رؤية الجميل في كل شيء، واخذ بعين الاعتبار حتى حاجة الأديب ان يفصح عن روح الجماعة ومطالبها ومشكلاتها .

ومن المعارك التي خاض فيها ميخائل نعيمة قضية اللغة التي طرحها بشكل جدي، بحيث أشار إلى التزام عميق بقواعدها وتزمت النقاد والأدباء في استخدامها، إن اللغة في نظر ميخائيل {ما هي إلا مجرد رموز كغيرها من الرموز التي استخدمتها ولا تزال تستخدمها الانسانية كوسيلة للإفصاح عما يختلج في النفس من فكر أو احساس وحسبها أن تستطيع أداء هذه الوظيفة¹⁹، لقد طرح ميخائل في مقالاته النقدية قضايا هامة جدا

¹⁷ - محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون ص 26-27

¹⁸ - المرجع نفسه، ص 27

¹⁹ - المرجع نفسه، ص 33

لاحظنا خلال ممارسته التطبيقية على النصوص الأدبية خاصة رواد المهجر، والأدب الكلاسيكي، وتمكن من توجيه الأدب العربي وجهة حديثة بتكوينه الثقافي المنفتح.

وتزامن ظهور كتابه مع كتاب الديوان للعقاد، والمازني، وعبد الرحمن شكري، طبعاً هذا الأخير أوضحت حركة التجديد التي نادى بها هؤلاء في مصر والتي غيرت معالم النقد وجدده قواعده، وإن كان يشهد لشكري الكثير من الجهد الشفوي الذي ارتكز على توجيه العملية النقدية وتعقيباته وأراؤه المبنية على المباشرة والتوجيه، وقال عنه العقاد: {لم اعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتابتنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة الإنجليزية وما يترجم اليها من اللغات الأخرى ولا أذكر اني حدثته عن كتاب قرأته الا وجدت عنده علماً به واحاطة بخير ما فيه}²⁰. في دواوينه السبعة التي نشرها حول الشعر تمكن من تحقيق مذهبه النقدي، وأن يحتل مكانة بين نقاد الأب وموجهيه، خاصة في سياق تعريفه للشعر بأنه تجربة وجدانية،

فوظيفة الشعر الأساسية هي التعبير عن الذات ونفسية الانسان، ويرفض فكرة تقسيم الشعر إلى اغراض وموضوعات، لأن الشعر في جوهره عاطفة يقول: {ليس شعر العاطفة باب جديداً من أبواب الشعر كما ظن بعضهم، فإنه يشمل كل أبواب منفردة فيقول باب الحكم وباب الحكمة وباب الغزل وباب الوصف الخ، ولكن النفس إذا فاضت بالشعر أخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة في القصيدة الواحدة، فإن منزلة أقسام الشعر في النفس كمنزلة المعاني في العقل²¹، ويؤكد مندور ان عبد الرحمن شكري كان يميل الى الشكوى والى التشاؤم أحياناً، وقد تأثر بالتيار العاطفي الذي يجعله أحياناً متمرداً ضد الواقع وضد كل ما تم توارثه،

ويكاد عباس محمود العقاد لا يختلف عن شكري في فهمه لوظيفة الشعر، ورمزية التعبير، ونظرتة للصورة الشعرية، قادنا عبد الرحمن شكري للحديث عن قضية الخيال الشعري التي تحدث عنها كلوريدج وفرق فيها بين الخيال والوهم، وتقريباً كان العقاد رائد التفريق بينهما في الساحة العربية في وقت مبكر ارتقى فيه إلى مصاف كبار المفكرين العالميين، فالخيال كان وسيلة لإدراك الحقائق التي يعجز عن ادراكها الحس المباشر أو

²⁰ - محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، ص 44

²¹ - المرجع نفسه، نص 46

منطق العقل بينما الوهم هروب من الواقع ومن الحقائق وتلفيق لصور محمومة تضل عن الحقائق بدلا من أن تهدي إليها²²، كما تحدث عن وحدة القصيدة و عن الأسلوب البسيط غير المتكلف الذي ينبغي استخدامه في الشعر، وعن مشكلة التعبير الشعري الذي يواجه أصحاب المذهب التجديدي في الشعر، وذلك في حقيقة عرضه لمفهوم التصوير وحاجة التعبير إلى مثل هذه الكنايات والاستعارات، فهو يرى أنها لا تستخدم لذاتها وإنما لحاجة إيصال المعنى للمتلقي، فالتشبيه أن {تطبع في وجدان سامعه وفكره صورة واضحة، مما انطبع في ذات نفسك، وما ابتدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان، فإن الناس جميعا يرون أن الأشكال والألوان محسوسة بذاتها كما تراها، وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس لنفس، وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاده إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه}²³،

تقريبا معظم النقاد الذين ذكرناهم قبل قليل لا يتنكرون للذوق ويؤمنون بالانطباعية كمرحلة أولى من مراحل النقد، وهذه تقريبا ما قصدها نعيمة حين قال إن لكل ناقد غرباله، {فالأذواق تتفق في الأصول العامة وتختلف في الأمثلة الخاصة كما يرى مندور والأفكار بعكس ذلك تتناكر في النظريات العامة حتى إذا ولج بها البحث إلى الدقائق أدت بها إلى التعارف على أنه مهما تباينت الأذواق فإن ذلك التباين حدا إذا تعداه عد أمر سقيم}²⁴، وقد أصر العقاد على ضرورة معرفة الناقد للشاعر من شعره، وكان العقاد هنا يميل إلى الأخذ بالمنهج الذي يأخذ يعين الاعتبار الحياة الباطنية للأديب أو الشاعر، ومهمة الناقد استخراج مثل هذه الصور مما يجعل العقاد مهما بالشاعر/الأديب أكثر من النص، وأكد مندور ميل العقاد إلى أبحاثه الأدبية حول الأديب إلى الفردية، إذ يجذب العنثور على شخصيته في أعماله، تحت شعار كنت أنت ولا تكن غيرك، وهذه الفردية نجد لها صدى لدى التيار الوجداني لاحقا، مع البحث عن جمال الأشياء والكون، الحرية التي تلون عالم الفنون، وقد ترك باعا في

²² - محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، ص 52

²³ - المرجع نفسه، ص 56،

²⁴ - المرجع نفسه، ص 62

علاقة الفن بالحرية يقول: {الفن الجميل مدرسة النظام كما هو مدرسة الحياة... فالحرية أن تختار والفوضى هي أن تفقد كل اختيار وأن تختلط عليك الأشياء فلا ترى فيها محلا للتمييز والايثار}²⁵

والتفت النقد إلى الشعر الغنائي الذي تميز به العرب منذ القديم، ونشأت حوله حركة نقدية حول هذا التراث الضخم من تراثنا الأدبي، وخاض فيه النقد المجددون معاركهم الضارية، فانتقد شوقي في كثير من قصائده، فنفى عنه الموهبة الشعرية، وظل ينفر من ميل شوقي نحو السلطان والقرب منهم وإساءة استخدامه لثورته، وخضوعه، وظل مندور يؤكد ان معارك العقاد مع شوقي خرجت عن نطاقها الأخلاقي النقدي إلى أسباب نفسية أخرى كثيرة، إلا أن العقاد ظل يهاجم اتباعيته التقليدية المتحجرة، كما عاب عليه انعدام الوحدة في قصائده التي سار فيها على نهج الأولين، ويرون أن الجمع بين الأغراض الشعرية والانتقال بينها اصاب القصيدة العربية بالتفكك وانعدام الوحدة العضوية.

5- النقد الحديث واتجاهاته:

يلتقي الأدب بمجموعة من العلوم التي تدرسه، وهي تتقارض بينها أخذا وعطاء، وتكشف أن الظاهرة الأدبية فضاء خصب للدراسة من نواحي مختلفة، ولعل أكثرها شيوعا اليوم هي مناهج ودراسات نفعية همها التركيز على الأدب كوسيلة في عمليات التوثيق أو الكشف واصطياد أمثلة ومعلومات وإيضاحات مثل علوم النبات والجيولوجيون والاجتماعيون وعلماء النفس، ومؤرخو الأفكار، واللغويون أيضا، فكثيرون مقتنعون بأن الأدب يمكن أن يقودهم إلى البرهنة على أفكارهم كونه يقوم الحقيقة لا الجمال، وهنا تساءل بعض النقاد: {ما الذي يهم النقد من هذه الجولات التي يقوم بها العلماء إذا لم تنازعهم الرغبة في ان يقفوا أمام كل عمل ويسألوه حتى ينتزعوا منه سر جماله}²⁶. أي انهم بدل أن يستخرجوا من الأدب الأخلاق والعادات والأعراف والقيم والحالات الشعورية للفرد وللمجتمعات وثقافته الخ، يمكنهم الاعتناء بالأدب من حث هو أدب،

²⁵ - محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، ص 75

²⁶ - أنريك أندرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر احمد مكي، ص 16

وقد رأينا النقد الحديث يهتم بهذه الحقول المجاورة للأدب وسياقاته الخارجية، استنادا إلى جهود نقدية ونظرية، فرأينا تحول الأدب إلى وثيقة للحياة الثقافية ، والتاريخ الذي وقع على تفسير الظواهر التي أثرت في تكوين الأدب على مر الزمن وعلم الاجتماع المهتم بنظم تكوين العقلية الاجتماعية والعلاقات وغيرها، الخ وتسمى المناهج النقدية التي ظهرت في العصر الحديث بالمناهج السياقية وهي التي {عاينت النص من خلال اطاره التاريخي أو الاجتماعي أو النفسي وتؤكد على السياق العام لمؤلفه او مرجعياته النفسية، ومنها التاريخي والاجتماعي والنفسي وهي دعوة ضمنية إلى الامام بالمرجعيات الخارجية مع تحفظ على الدخول في النص إلا من خلال تلك السياقات المحيطة بالمبدع}²⁷، ويمكن أن نمر على بعض هذه المناهج التي كان لها حضور لافت في الساحة العربية .

أ-النقد الانطباعي:

ينبني النقد الاعتقادي على مجموعة من الآراء الأولية المختزنة في فكر الناقد، فالمعتقدات هي من تغذيه حسب محمد مندور ، إنه {نقد الذي تسيطر عليه آراء ومعتقدات سبق أن استقرت عند الناقلين وذلك لهوى ديني او وطني او عنصري وهذا هو أشد أنواع النقد تعرضا للتجريح، والتجرد من الأهواء شرط أساسي للنقد ولكنه ليس سهل التحقيق²⁸، ويؤكد فيه الناقد ضرورة عدم الاسراف مراعاة العقل، لأن الفرد كلما زادت عاطفته قل عقله وافقه، ويمكن أن تؤثر معتقدات الأديب على توجهه فيصعب على الناقد اطلاق احكامه بعيدا عما كان يمتلكه من تصورات حول المبدع.

ظهر النقد الانطباعي في فرنسا وكان له رواده مثل لانسون وأندري جيد، وعرف بتسميات مختلفة كالذاتية والتأثرية والانفعالية، والذوقية الخ، وفي الساحة العربية كان طه حسين أشد المتبينين له، فقد أكد {أن الشعر الجيد يمتاز قبل كل شيء بأنه مرآة لما في نفس الشاعر من عاطفة، مرآة تمثل العاطفة تمثيلا فطريا، بريئا من التكلف والمحاولة، فإذا خلت نفس الشاعر من عاطفة أو عجزت هذه العاطفة عن أن تنطق لسان

²⁷ - بسام قطوس، مدخل الى مناهج النقد المعاصر، ط1، دارالوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الاستكندرية/مصر، 2006، ص21

²⁸ - محمد مندور، في الأدب والنقد، ص12

الشاعر بما يمثلها فليس هناك شعر²⁹، يبدو أن طه حسين يمزج بين الشعر والعاطفة التي تخلفها في نفسية المتلقي، وهو ما رفضه مصطفى ناصف كون أن الناقد لا يمكن أن يعرف العاطفة الصادقة من المنتحلة، كما أنه يرفض جعل العاطفة أفضل ما في الشعر، وإنما الميل لها يخلق ما نسميه التأثيرية في دراسة الشعر، كما أصر محمود مندور على أن يكون هذا النقد هو خطوة أولية بيد كل ناقد ويقوم هذا المنهج على آليات منها ما ذكر في كتاب المناهج النسقية والنصية منهج ذاتي حرّ ينقل فيه الناقد ما يريد، ولا يحتكم إلى العقل ويعتبر النص وسيلة لإطلاق ما يجوب في خاطره،

ب- النقد التاريخي:

لاحظنا كيف أن النقد لم يكن بمنأى عن النهضة العلمية التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر، فقد سعى إلى اقتناص روح العلم وظهرت ذلك في النقد الحديث بدءاً بالمنهج التاريخي، يشير مندور إلى أن النقد التاريخي {هو الذي يرمي قبل كل شيء إلى تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات وشخصيات الكتاب، فهو يعني بالفهم والتفهم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة، والنقاد الذين يجنحون إلى هذا النقد يؤمنون بأن كل تفسير من الممكن بعد ذلك أن يخرج منه القارئ بحكم لنفسه³⁰. إن النقد التاريخي الذي طوره كل من سانت بييف وبرونتير وهيبولت تين تمكن من تطبيق هذه المقاربة على النصوص الأدبية، وبرونتير في نصوصه خاصة تطور أنواع الأدب نظر إلى فنون الأدب متقصياً تطورها عبر الزمن إلى غاية وصولها إلى مرحلة النضج الفني، أما سانت بييف وهوبيليت تين فقد استفادا من نظرية علم الأحياء في دراسة مجموعة من السلوكيات والأنماط بغية فهمها، وانطلق من شخصية المبدع لفهم إنتاجه الأدبي، فالمحيط والحياة الشخصية يمكن أن تساعد في فك مغالق النص الأدبي.

وقد انتقل إلى الساحة العربية وبرز بقوة عند العقاد وطه حسين، وتمكنا من العودة إلى نصوص الأقدمين خاصة المتنبي والشعر الجاهلي لمعرفة الظروف السياسية والاقتصادية التي كانت سائدة، ورغم فعالية هذه المقاربة المنهجية للنصوص الأدبية إلا أنه حضي برفض الكثيرين ممن انطلقوا من {فكرة أن الخطاب الأدبي ما

²⁹ - مصطفى ناصف، دراسة في الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 2013، ص 48

³⁰ - محمد مندور، في الأدب والنقد، ص 17

هو الأبنية لغوية وعلاقات شكلية خاصة في المراحل الأخيرة التي تحلوفها النقد العربي الحديث نحو المناهج الداخلية، فهم يعترفون بمحدودية المنهج باقتصاره لى تفسير تشكل خصائص اتجاه أدبي في جيل أو أمة، كما يفيد في فهم في فهم بواعث نشوء ظاهرة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو التاريخية³¹.

إن النقد التاريخي يحتاج جهد مضعف مقارنة بغيره كونه يحتاج إلى قدرات خاصة في تتبع المؤلفات الأدبية وترتيبها وتدبرها، ووضعها في سياقها العام الذي ولدت فيه، لأن النقد هنا يذهب إلى اعتبار هذه المؤلفات صورة عن العصر الذي ولدت فيه، ويتطلب معرفة بالماضي الذي سبق تلك المرحلة أيضا ومعرفة بالأراء والقضايا المختلفة التي حامت حوله، كي يوسع أفقه، كما ينبغي له أن يتجاوز النص الذي هو بصدد مقارنته إلى الامام بكل ما يمكن أن يخدم أهدافه من مؤلفات للكاتب أو المبدع ذاته ومراعيًا نزاهة كبيرة لكل ما يمكن أن يصطدم به. أما المنهج الاجتماعي والنفسي فسنحاول أن نقف عندهما في المحاضرات المخصصة لهما.

ج- التحول إلى النسق:

توسع مفهوم النقد الأدبي بعد الاستفادة من التحولات المعرفية التي طالت العلوم الانسانية واللغوية، واقترب من مقارنة النصوص الأدبية بناء على مقولة النسق/ البنية، فهذه المناهج أغلقت النص وعزلته عن الظروف المحيطة، إن هذه المناهج الداخلية {قاربت النصوص مقارنة محايدة دون الخوض في المرجعيات الخارجية مع تركيز على النص بوصفه بنية لغوية وجمالية مكتفية بذاتها، وهي دعوة إلى فتح النص على نفسه وغلقه أمام المرجعيات ومنها النقد الشكلاني الروسي *Russian Formalism Criticism* و النقد الجديد *New Criticism* وإلى حد ما الاتجاهات الأسلوبية التي تعد مع ادراكنا للفوارق المنهجية بين كل اتجاه منها، البنيوية وهي المشروع الأساسي الذي أفرزته الحداثة ومناهج القراءة التي منحت القارئ والنص فرصة التقاء ثقافتهم واولت القارئ جل عنايتها في تلقي النص³².

³¹ - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 47

³² - المرجع نفسه، ص 22.

إن هذا التحول المنهجي مهدت له عوامل كثيرة لكن أكثرها تأثيرها هو ما قام به فرديناند دي سوسور في محاضراته التي كان يلقيها على طلبته حول اللسانيات العامة، وهذا أثر في نقل النقد الأدبي والنص الأدبي معا عن التأملات والانطباعية الذاتية، ومنحه طابعا علميا، فظهرت توجهات منهجية على مستوى الاجراء النقدي شكلت مهاد منهجي للفكر النقدي المعاصر. فسوسور سعى للكشف عن مجموعة من الثنائيات المتقابلة كان لها تغيير عميق في النظام اللغوي بين تفريقه بين اللغة التي تتكون من القواعد النحوية بين الكلام الذي يعني بالاستخدام الفردي للغة، كما تحدث عن الدوال والمدلولات وعن الاختلاف بين الدراسة الوصفية والتاريخية للغة، اضافة الى جملة من الظواهر الأخرى التي عني بها مما احدث ثورة غيرت الأدب ومنحته أهميته، وساقت النقد نحو الاهتمام بالنسق، إن النقد النسقي {يصطفي النسق بوصفه عنصرا مركزيا في الحضارة والمعرفة والثقافة والسياسة والمجتمع، إذ يتسم النسق من حيث هو نظام بالمخاتلة واستثمار الجمالي والمجازي ليمرر جدلياته ومضمرااته التي لا تنكشف إلا بالقراءة الفاحصة ولا يمكن استبارها إلا بتكوين جهاز مفاهيمي ومعرفي متكامل}³³،

ويعرفه عبد العزيز حمودة {بأنه نشاط فكري يتخذ الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها}³⁴، ولقد سعت الدراسات النقدية المعاصرة إلى قراءة النص بعيدا عن السياق الذي أنتج ضمنه فعزلته عن المحيط وظروفه الخارجية واهتمت بالنص ذاته ولذاته، فالقراءة النسقية التي راحت مناهج النقد المعاصر تستعين بها كانت تتضمن سلسلة من الشفرات التي تميزها، وتأسيسا على ذلك {القراءة النسقية} تحاول قراءة النصوص الأدبية في ضوء سياقاتها التاريخية والثقافية، حيث تتضمن النصوص في بناها العميقة أنساقا مضمرة ومخاتلة قادرة على التمتع، ولا يمكن كشف دلالاتها النامية في المنجز الأدبي إلا بإنجاز تصور كلي حول طبيعة البنى الثقافية للمجتمع، وتكوين جهاز معرفي ابستمولوجي من لدى المؤول الثقافي لفك شفرات المحتملات النسقية}³⁵،

³³ - يوسف محمود عليما، النقد النسقي، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، ط1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، 2015، ص9

³⁴ - عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2003، ص264.

³⁵ - يوسف محمود عليما، النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر القديم، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2009، ص11

إن مناهج النقد المعاصر سعت إلى تحليل النص وفق قواعد التحليل اللساني ، كما أن ظهور الشكلائية أعاد الاعتبار للشكل رافضة اعتبار الأدب وثيقة، بل شكل ولا شيء آخر غير الشكل، وأن اللغة الأدبية لها ما يميزها عن اللغة العادية، وما يهمننا ان المرجعيات اللسانية والتوجهات الشكلائية قادت تصورات نحو دراسة الأدب وفق مبادئ واضحة تعمل على اقضاء السياق الخارجي للنصوص، واقضاء المؤلف أيضا بعزله عن ما أنتجه، والتركيز في المقابل على البنيات الداخلية للنصوص الأدبية، وهنا يشير بعض النقاد الى غلبة الذاتية على النقد الأدب المعاصر، وهذا أمر سلبي، لأنها { تعد من المعيقات التي اعترضت طريق النقد الخالص، وعطلت سيرته في سبيل التجدد والتطور والاكتمال}³⁶، فابتعاده عن الموضوعية وقربه من ذاتية الناقد نزع عنه بعض المصدقية وحال دون تحقيق مقاصده العلمية، لكن اتساع مجالاته ليشمل جهات الأدب كلها، وبحثه في قضايا الابتكار والخلق والتجديد والأصالة وغيره منحه ميزه لم يسبق اليها النقد سابقا وهي خاصية التجديد التي كانت تستدعي ثقافة مرجعية واسعة، فساقته الى افاق لم يتم الوصول اليها، فصال وجال في ميادين علمية وأدبية كثيرة، والى جانب مهمة البعث والاحياء لكل ما هو جدير بذلك من التراث، استطاع أن يحافظ على خصوصيات أصيلة في النقد،

ويؤكد عبد المجيد جعة أن البحث في موضوع النقد داخل الثقافة العربية أمر جدير بالدراسة، فهو إلى جانب كونه ظاهرة ابستمولوجية تعرفه المجتمعات عبر تحولات في مسارات الفكر الانساني فإنه يرى أن { الفكر العربي ظل يعاني في كثير من محطاته من هيمنة النقل والتكرار مما جعله أسير لبني معرفية مغلقة في الوقت الذي يفترض فيه أن يوجه العقل إلى الابداع والتأويل واعادة انتاج المعرفة }³⁷، فهو لم يخرج طويلا عن التكرار والنقل، بل إن أزمة العقل العربي ليست أزمة معارف فحسب انما هي أزمة منهج في انتاجها وتداولها، وازمة في القدرة على مساءلة الذات والآخر بما يجعل من سؤال النقد مدخلا لا غنى عنه لإعادة بناء العلاقة بين العقل والمعرفة والقيم}³⁸.

³⁶ بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، ط3. دار المريح للنشر والتوزيع، الرياض، 1982، ص48

³⁷ - عبد المجيد جاعة، سؤال النقد والنقل والنقد في المعرفة العربية المعاصرة}، ط1، دار أحلام للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2025.

ص 13

³⁸-المرجع نفسه، ص 15